قصص الأنبياء

صالح
عليه السلام

إعداد: شعبان مصطفى قزامل





حضارة عظيمة

في منطقة " الحِجْر " التي تقع بين الحجاز والشام ، وتسمى الآن " بمدائن صالح " كانت تعيش قبيلة ثمود ، وكان أصلها يرجع إلى سام بن نوح .

وكانت لقوم ثمود حضارة عظيمة ، فقد نحتوا الجبال واتخذوا منها بيوتاً ضخمة وقصوراً فخمة ، يسكنون فيها أيام الشتاء ؛ لتحميهم من البرد والأمطار والعواصف التي تأتي إليهم من حين لآخر ، وبنوا على السهول قصوراً رائعة الجمال يقيمون فيها صيفاً .

وأنعم الله – عز وجل – على قوم ثمود بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى ، فأعطاهم الأرض الخصبة ، والماء العذب الغزير ، والحدائق الغناء والنخيل المثمر ، والزروع والثمار والأولاد ، والصحة ، والقوة ، والمال .

ولكن هؤلاء القوم قابلوا هذه النعم الكثيرة بالجحود والنكران ، فكفروا بالله – سبحانه - ، ولم يشكروه على نعمه ، وعبدوا الأصنام ، وجعلوها شريكة لله ، وقدَّموا إليها القرابين وذبحوا لها الذبائح ، وتضرَّعوا لها ، وأخذوا يدعونها .

فأراد الله هدايتهم ، فأرسل إليهم نبياً منهم ، هو صالح – عليه السلام - ، وكان رجلاً كريماً تقياً محبوباً .

وبدأ صالح يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وترك ما هم فيه من عبادة الأصنام . فقال لهم : (**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**) [الأعراف : ٧٣] .

فرفض قومه ذلك ، وقالوا له : يا صالح قد كنت بيننا رجلا فاضلا كريماً محبوباً ، نستشيرك في جميع أمورنا ، لعلمك وعقلك وصدقك ، فماذا حدث لك ؟ قال تعالى على لسانهم : (**يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**) [هود : ٦٢] .

وقال رجل من القوم : يا صالح ما الذي دعاك لأن تأمرنا أن نترك ديننا ، الذي وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا ، ونتبع ديناً جديداً ؟!

وقال آخر : يا صالح قد خاب رجاؤنا فيك ، وصِرْتَ في رأينا رجلا مختلَّ العقل والتفكير .

اتهام ظالم

وغير القوم أسلوب حديثهم مع صالح ، فبعد أن كان رجلاً صالحاً ذا عقل كبير ، وتفكير حكيم ، أصبح في نظرهم عكس ذلك ، أصبح سقيم الفكر ، مريض العقل ، طالما هو على غير عقيدهم ، وطالما هو يأمرهم بترك عبادة الأصنام ، ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد .

اتهموه ظلماً وعدواناً ، ومع كل هذه الاتهامات التي وجهت لنبي الله صالح – عليه السلام - ، لم يقابل إساءهم له بإساءة مثلها ، و لم ييأس بسبب استهزائهم به ، وعدم استجابتهم له ، بل ظل يتمسك بدين الله رغم كلامهم ، ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ويذكِّرهم بما حدث للأمم التي قبلهم ، وما حلَّ بهم من العذاب بسبب كفرهم وعنادهم ، فقال لهم : (**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**) [الأعراف : ٧٤] .

ثم أخذ صالح يذكِّرهم بنعم الله عليهم ، فقال لهم : (**أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ**) [الشعراء : ١٤٧ – ١٤٨] .

وكان صالح يعذر القوم .. إنهم جاهلون لا يعلمون . ويسيرون وراء الشيطان ويستمعون لوساوسه ، ولا يرون غير طريقه .

ولكي يغير هؤلاء القوم من طريقة تفكيرهم ، ويثورون على العقيدة الفاسدة التي نشأوا عليها .. كان لا بد من عدم اليأس في دعوتهم ، وإرشادهم إلى الصواب بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكان لا بد من لفت أنظارهم إلى آيات الخالق ومعجزاته ، والنعم التي وهبها لهم في الحياة الدنيا . وأخذ صالح يبين لهم الطريق الصحيح لعبادة الله ، وأنهم لو استغفروا الله وآمنوا به وتابوا إليه ، فإن الله سيقبل توبتهم ، فقال : (**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**) [هود : ٦١] .

فآمنت به طائفة من الفقراء والمساكين ، وكفرت طائفة الأغنياء ، وكذبوه ، واستكبروا عليه ، وقالوا : (**أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ ، أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ**) [القمر : ٢٤ – ٢٥] .

حسد الكفار

استكثر الكافرون على صالح أن يختاره الله – عز وجل – ليكون رسولاً ، وحسدوه على ما أنعم الله عليه .. إنه بشر مثلهم ، وواحد فقط ، وتساءلوا : كيف يتبعون رجلاً واحداً ؟

وقالوا : هل يعقل أن يكون هو وحده على حق ، ونحن جميعاً على باطل ؟! لذلك فإذا اتبعناه سنكون على ضلال واضح ، إنه كذاب ، يدعي علينا الكذب .

وحاولت الفئة الكافرة ذات يوم أن تصرف الذين آمنوا عن دينهم ، وتجعلهم يشكون في رسالته ، فقالوا لهم : (**أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ**) [الأعراف : ٧٥] . هل تأكدتم أنه رسول من عند الله ؟

فأعلنت الفئة المؤمنة تمسكها بما أُنْزِلَ على صالح وبما جاء به من تعاليم ربه ، وقالوا : (**إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**) [الأعراف : ٧٥] .

بينما أصرَّت الفئة الكافرة على ضلالها وجهلها ، وقالوا معلنين كفرهم وضلالهم : (**إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**) [الأعراف : ٧٦] .

جهل وتحدي

لقد أخذ قوم صالح العزة بالإثم ، وواصلوا تحديهم وكفرهم بالله ، واستمروا على تكذيبهم لرسوله ؛ خوفاً على نفوذهم ومكانتهم .. فقد تخيلوا أنه لو آمنوا مع صالح ، فسوف يكون صالح زعيمهم وصاحب الكلمة العليا فيهم ، وسيكونون هم في مرتبة دنيا ، من المرءوسين .. مما يهدد وجودهم وثرواتهم .

ودفعهم الجهل والحمق إلى أن يسيروا وراء هذه الآراء الخاطئة ، كافرين بما أنزل على صالح .

ولو كانوا يعقلون ، وكان لديهم عقلٌ راشدٌ ؛ لأدركوا أن الإيمان بالله وشُكْره يحفظ لهم النعم التي أنعم بها عليهم ، كما يحفظ لهم مكانتهم .. وذلك ليس في الدنيا فقط ولكن في الآخرة أيضاً .

ولما رأى صالح – عليه السلام – إصرارهم على الضلال والكفر قال لهم : (**يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ**) [هود : ٦٣] .

وكان صالح – عليه السلام – يخاطب قومه بأخلاق الداعي الكريمة ، وآدابه الرفيعة ، ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة تارة ، ويجادلهم تارة أخرى في موضع الجدال ، مؤكداً على أن عبادة الله هي الحق ، والطريق المستقيم . ولكن قومه تمادوا في كفرهم ، وأخذوا يدبرون له المكائد والحيل حتى لا يؤمن به أكثر الناس ، وظل الصراع قائماً بين صالح – عليه السلام – وبين القوم الكافرين ، حتى طلبوا منه معجزة ودليلا على صدقه إن كان صادقاً ونبياً حقاً ورسولا من الله .

الناقة المعجزة

وذات يوم ، كان صالح – عليه السلام – يدعوهم إلى عبادة الله ، ويُبيِّن لهم نعم الله الكثيرة ، وأنه يجب شكره وحمده عليها . فأصروا على طلبهم وقالوا له : يا صالح ما أنت إلا بشر مثلنا وإذا كنت تدعي أنك رسول الله ، فلا بد أن تأتينا بمعجزة وآية تشهد لك بذلك .

فسألهم صالح – عليه الصلام – عن المعجزة التي يريدونها ، فأشاروا إلى صخرة بجوارهم ، وقالوا له : أخرِجْ لنا من هذه الصخرة ناقة طويلة عُشَراء .

وأخذوا يصفون الناقة المطلوبة ويعددون صفاتها ، ويطلبون أوصافاً مستحيلة حتى يعجز صالح عن تحقيق طلبهم .

فقال لهم صالح : أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم أتؤمنون بي ، وتصدقونني وتعبدون الله الذي خلقكم ؟ فقالوا له : نعم . وعاهدوه على ذلك .

فقام صالح – عليه السلام – وصلَّى لله – سبحانه - ، ثم دعا ربه أن يجيبهم إلى ما طلبوا .

وبعد لحظات ، حدثت المعجزة ، وخرجت الناقة العظيمة من الصخرة التي أشاروا إليها ، فكانت برهاناً ساطعاً ، ودليلاً قوياً على نبوة صالح وصدق كلامه .

واندهش قوم صالح عندما رأوا هذه الناقة العظيمة ، بمنظرها الهائل وحجمها الكبير ، وهي تثغو وتحرك رأسها وذيلها .. وصرخ بعضهم : يا لها من معجزة ظاهرة !! ومفاجأة مذهلة .

وآمن يعض القوم برسالة صالح ، بينما استمر أكثر الناس على الكفر والضلال ، ثم أوحى الله إلى صالح أن يأمر قومه بأن لا يتعرضوا للناقة بسوء حتى لا يصيبهم عذاب الله ؛ إنها ناقة الله وليست ناقة عادية ، ولا يجوز لأحد أن يتعدى حدود الله ؛ فقال لهم صالح : (**هَذِه نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) [الأعراف : ٧٣] .

وظل صالح يخوِّف قومه ، ويوعدهم بالعذاب الشديد إن هم تعرضوا للناقة وآذوها ، واستمروا على طغيانهم وكفرهم .

المؤامرة

استمر الحال على هذا وقتاً طويلا ، والناقة تشرب ماء البئر يوماً ، ويشربون هم يوماً ، وفي اليوم الذي تشرب فيه الناقة ولا يشربون كانوا يحلبونها فتعطيهم لبناً يكفيهم جميعاً .

لكن كُفْر قوم صالح أعماهم والشيطان أغواهم ، فزيَّن لهم طريق الشر ، وتجاهلوا تحذير صالح لهم ، فاتفقوا على قتل الناقة ، وكان عدد الذين أجمعوا على قتل الناقة تسعة رجال ، كانت قلوبهم مليئة بالشر والحقد .. وينشرون الفساد في الأرض ، ولا يخافون إلهاً ، ولا يخضعون لقانون .. يعيشون كما تعيش وحوش الغابة ، يقتلون ، ويسرقون ، ويفعلون المنكرات ، ويقطعون الطريق ، قال تعالى : (**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ**) [النمل : ٤٨] .

هؤلاء التسعة اتفقوا مع باقي القوم على تنفيذ مؤامرتهم الدنيئة ، وقد تولى القيام بهذا الأمر أشقاهم وأكثرهم فساداً ، قيل اسمه : قدار بن سالف .

قتل الناقة

وفي الصباح ، تجمع قوم صالح في مكان فسيح ينتظرون مرور الناقة لتنفيذ مؤامرتهم . وبعد لحظات ، مرت الناقة العظيمة فتقدم أحدهم منها ، وضربها بسهم حاد أصابها في ساقها ، فوقعت على الأرض ، فضربها قدار بن سالف بالسيف حتى ماتت .

وعلم صالح بما فعل قومه الذين أصروا على السخرية منه والاستهزاء به ، وقتلوا الناقة التي حذرهم أن يقتلوها لأنها ناقة الله ومعجزة تدل على قدرته .

وأوحى الله – عز وجل – إلى صالح أن العذاب سيترل بقومه بعد ثلاثة أيام ، فقال صالح – عليه السلام – لقومه : (**تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**) [هود : ٦٥] .

ولكن القوم كذبوه واستمروا في سخريتهم منه والاستهزاء به .

ولما دخل الليل اجتمعت الفئة الكافرة من قوم صالح ، وأخذوا يتشاورون في قتل صالح نفسه ، حتى يتخلصوا منه مثلما تخلصوا من الناقة ، ويرتاحوا من دعوته التي سمعوها منه ليلاً ونهاراً حتى ملوه ، ولكن الله – عز وجل – عَجَّل العذاب لهؤلاء المفسدين التسعة ، ولم يمهلهم حتى ينفذوا ما اتفقوا عليه وتآمروا به ، فأرسل عليهم جنداً من جنوده . أرسل عليهم حجارة أزهقت أرواحهم وأهلكت أجسامهم .

العذاب الأليم

مرت الأيام الثلاثة ، وخرج الكافرون في صباح اليوم الثالث ينتظرون ما سيحل عليهم من العذاب والنكال ، مُصرين على كفرهم وعنادهم ، ومستمرين على استهزائهم بصالح وبدينه .

وفي لحظات ، جاءتهم صيحة شديدة من السماء ، وهزة عنيفة من الأرض ، فأزهقت أرواحهم ، وخمدت أجسامهم وأصبحوا في دارهم هالكين مصروعين ، قال تعالى : (**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**) [النمل : ٥٢ – ٥٣] .

وقال : (**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ، وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ**) [هود : ٦٦ – ٦٨] .

وهكذا أهلك الله – عز وجل – قوم صالح بسبب كفرهم وعنادهم وقتلهم لناقة الله ، والاستهزاء بنبيهم صالح – عليه السلام – وعدم إيمانهم به .

وبعد أن أهلك الله الكافرين من ثمود ، وقف صالح ومن معه من المؤمنون ينظرون إليهم ، فقال صالح – عليه السلام - : (**يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**) [الأعراف : ٧٩] .

ولقد مر النبي صلى الله عليه وسلم على ديار ثمود (المعروفة الآن بمدائن صالح) وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع من الهجرة ، فأمر أصحابه أن يمروا عليها خاشعين خائفين ، كراهة أن يصيبهم ما أصاب أهلها ، وأمرهم بعدم دخول القرية الظالمة وعدم الشرب من مائها . [متفق عليه] .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذناهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

منبر التوحيد والجهاد
www.alsunnah.info
www.tawhed.ws
www.almaqdese.com